

لم ينقسم شعب على وهم ، كما انقسم الشعب الفلسطيني . صار كل فرد فيه ، من ربة الخيمة ، الى المقاتل ، الى التاجر ، الى الصعلوك يحمل اسما جديدا : « مع » واما « ضد » . كأن حرب التصنيف قد اندلعت بالتسمية أولا ، ثم اندلعت بالنار الحية . لقد سقط منا شهداء . يجب ان نعترف بذلك . . سقط منا شهداء ضحية هذا التصنيف الاحمق .

وهب بعض الانظمة لتمويل التصنيف . وهب العدو الاسرائيلي لتأجيج حرب التصنيف . وصار يرمي بعض الايحاءات المدروسة ليدفع بالفلسطينيين الى الخلاف حولها .

والمدهش في الامر ان العدو نفسه يعلن ، بوضوح ، الغاية التي من أجلها يلوح بهذه الايحاءات المخادعة كالاعتراف بالكيان الفلسطيني مثلا : لدفع الفلسطينيين الى الاقتتال على وهم ، بعد دفع الكرة الى شبكتهم .

وصارت ساحة معركة التناقضات بين بعض الانظمة هي الساحة الفلسطينية . انها تصفي حساباتها مع بعضها البعض ، وتتآمر على بعضها البعض ، عبر الفلسطيني ، ومن خلال الانقسام الفلسطيني حول التصنيف : « مع » أم « ضد » .

دولة . . دولة ، ولا دولة .

وما دام الفلسطينيون ، جميعا ، يعرفون ان أحدا لم « يعدهم » بدولة ! — ولم يحدث في التاريخ ان اهدى أحد الى أحد دولة — فلماذا يصر بعضهم على الذهاب في معركة الصراع على وهم الى النهاية ؟

سؤال لا يدعي البراءة ، لانه موجه الى ظاهرة غير بريئة .

ليس بوسعي ان اكون « مع » . أي : ليس بوسعي ان اكون « قابلا » ، لانه تنقضي القدرة على الاعجاب بشجاعة جنين يحمله ظهر طفل مجهول .

وليس بوسعي ان اكون « ضد » ، أي : ليس بوسعي ان اكون « رافضا » ، لاني افتقر الى القدرة على النفور من لون عيني جنين يحمله ظهر طفل مجهول .

فهل يستطيع أحد ذلك ؟

ومن اين نبدا ؟

ان الذين يرون ان السلطة الوطنية قابلة للتحقيق بمجرد ان تتم موافقتنا عليها وبمجرد ان نعلن الاستعداد للذهاب الى جنيف بلا شروط ، يمنحون الظاهرة الصهيونية آنية لم تبلغها بعد ، لان درجة التصدي العربي لاسرائيل لم تبلغ بعد مرحلة الحاق الهزيمة بالعدو ، لاسباب كثيرة اهمها اسباب ذاتية . وان الحصول على شبر واحد من أرض فلسطين يحتاج الى أكثر من حرب ، لان العدو لا يسلم بالانتحار السريع .

وان الذين يرفضون السلطة الوطنية لانها تقوم على « أرض صغيرة لا تتوفر فيها شروط الدولة الغنية المقاتلة » مرة ، ولانها غير قابلة للتحقيق مرة ثانية ، لا يحق لهم المضي في الرفض ، تحت ضغط منطقتهم ذاته . فطالما ان الضفة الغربية غير ممكنة التحرير في هذه المرحلة ، فكيف يكون كامل التراب الفلسطيني ممكن التحرير في هذه المرحلة ؟ .